

الهزة في القرآن الكريم

بقلم

د. سهام مادن

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1



ملخص

القراءات القرآنية مصدر أساسي لدراسة مختلف الظواهر منها اللغوية فهي تعكس الاختلافات اللهجية، واخترنا الدراسة الصوتية متمثلة في دراسة الهزمة.

Resumé :

La langue du coran est une langue Noble Sacrée, elle jouit de différents qualités, on essayera de traiter les différents lectures du coran en prenant comme exemple la phonétique en représentant une lettre très importante qui est le (A), en Arabe (la Hamza).

مقدمة:

تعدّ القراءات القرآنية المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهي المصدر الأول في معرفة اللهجات العربية، حيث مالت بعض القبائل للتخفيف، وبعضها للتحقيق، وما هذا الاختلاف الصوتي عفوي بل ناتج عن أسباب منها أنّ البدو أميل للتحقيق لطبيعتهم الصحراوية، والحضر أميل للتخفيف لحضارتهم، وهذه ليست قاعدة بل لاحظنا بعض التجاوزات، والقراءات القرآنية، قد عكست هذه الاختلافات بل قد جسّدتها، وعليه سنحاول التعرّض لأثار الاختلاف اللهجي في النطق بالهزمة على القراءات القرآنية، محلّين هذه الظاهرة الصوتية؛ وذلك بالطرق لتعريف الهزمة، وبيان أقسامها، وإعطاء لمحة عن مذاهب القراء في الهزمة، وفي الأخير نسبة القراءات للهجات.

أولاً: تعريف الهمزة:

الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماءنا القدامى "فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف"¹، ومن الخنجرة على ما توصل إليه علم الأصوات، وهي صوت مجهور شديد عند القدماء " فأما (المجهورة) فالهمزة... ومن الحروف (الشديد)، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة..."²

قال المبرد: وهي مجهورة شديدة عند القدماء، ولا مجهور ولا مهموس - على أرجح الآراء في العصر الحاضر - وينطبق معها الوتران تماما ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوي وانفجار وفرقة شديدة، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلي كبير حال نطقها، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض في نطقها، والتمسك بها في كلامهم، فوجدنا منهم من يحققها ومنهم من يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين أو حذفها.³ وعرفها ابن يعيش في قوله: "حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق"⁴، ومن المحدثين نذكر تعريف إبراهيم أنيس:

"فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما، فلا نسمع لهذا دبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حيث تنفج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة."⁵

ثانياً: أقسام الهمزة:

والهمزة قسمان:

1- همزة مفردة. 2- همزتان مجتمعتان في كلمة أو كلمتين.

والهمزة المفردة ضربان:

1- همزة ساكنة. 2- همزة متحركة.

و السّاكنة على ثلاثة أضرب⁶:

1. مضموم ما قبلها.

2. مكسور ما قبلها.

3. مفتوح ما قبلها.

والمتحرّكة على ضريين:

1. متحرّكة قبلها متحرك.

2. متحرّكة قبلها ساكن.

والهمزتان المجتمعتان إمّا أن تكونا في كلمة أو في كلمتين.

أ- الهمزتان المجتمعتان في كلمة⁷: على ضريين:

1- تأتي الأولى منها همزة زائدة للاستفهام ولغيره، ولا تكون إلاّ متحركة، ولا تكون همزة الاستفهام إلاّ مفتوحة.

2- وتأتي الثانية منها متحرّكة وساكنة. والمتحرّكة إمّا أن تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة.

ب- الهمزتان المجتمعتان في كلمتين⁸: على ضريين:

1- همزتان متّقتان ويكون الاتّفاق بالكسر أو بالفتح أو بالضّم.

2- همزتان مختلفتان، وهما على خمسة أقسام:

أ. مفتوحة ومضمومة.

ب. مفتوحة ومكسورة.

ج. مضمومة ومفتوحة.

د. مكسورة ومفتوحة.

هـ. مضمومة ومكسورة.

ثالثاً: مذاهب القراء في الهمزة:

(أ) الهمزة المفردة:

1- قراءات صحيحة:

أ- الهمزة الساكنة:

1- مضموم ما قبلها نحو (يؤمن، يؤتى، مؤتفكة، ويقول ائذن لي).

2- مكسور ما قبلها نحو (بئس، جئت، شئت، الذي ائمن).

3- مفتوح ما قبلها نحو (فأتوهن، فأذنوا، وأمر اهلك، والهدى ائتنا).

فقرأ أبو جعفر⁹ وحده جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله. وقرأ الباقون بالهمز. ولم يختلفوا في (أَنْبِئْهُمْ) بسكونها وكسر ما قبلها فقرأها كلهم بالهمز¹⁰، ولقد قال سيبويه: "اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التَّحْقِيقُ، والتَّخْفِيفُ، والبَدَلُ. فالتَّحْقِيقُ قولك: قَرَأْتُ، ورَأْسُ، وَسَأَلْتُ، وَلَوْمٌ، وَيَسَسَ، وأشباه ذلك، وأما التَّخْفِيفُ فتصير الهمزة فيه بَيْنَ بَيْنَ وتُبَدَلُ، وتُحَذَفُ." ¹¹

ولقد أشار سيبويه إلى الهمزة الساكنة التي يسبقها كسر أو ضمّ أو فتح أنها تبدل حرف مدّ كما قرأها أبو جعفر. "وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تَحْفَفَ أبدلت مكانها، وذلك قولك في رَأْسٍ وبَأْسٍ وقَرَأْتُ: رَأْسٌ وبِئْسَ وقَرَأْتُ، وإن كان ما قبلها مضموما فأردت أن تَحْفَفَ أبدلت مكانها واوا، وذلك قولك في الجُوْنَةُ والبُؤْسُ والمُؤْمِنُ: الجُوْنَةُ والبُؤْسُ والمُؤْمِنُ، وإن كان ما قبلها مكسورا أبدلت مكانها ياءً كما أبدلت مكانها واوا إذا كان ما قبلها مضموما، وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً." ¹²

ب- الهمزة المتحركة وقبلها متحرك:

1. مفتوحة قبلها مضموم نحو (يُؤَدُّه، يُؤَاخِذُ، يُؤَلِّفُ) فقرأ أبو جعفر بإبدالها واوا وقرأ الباقون بالهمز. ¹³
2. مفتوحة قبلها مكسور نحو (رثاء الناس، خاسئا، شانئك). فقرأ أبو جعفر وحده بإبدالها ياءً، وقرأ الباقون بالهمز. ¹⁴ وقرأ نافع (لثلا) بغير همز. ¹⁵
3. مضمومة بعد كسر وبعدها واوا نحو (مستَهزِئُون، الصَّابِئُون، متَكِبُّون، مَالِئُون) فقرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وضمّ ما قبلها (مستَهزِون، الصَّابِئُون، متَكِبُّون، مَالُون) ووافق نافع على (الصَّابِئُون)، وقرأ الباقون بالهمز. ¹⁶
4. مضمومة بعد فتح نحو (ولا يَطَّأُون، ولم تَطَّأوها، وإن تَطَّأوهم) فقرأ أبو جعفر وحده بحذفها وقرأ الباقون بالهمز. ¹⁷
5. مكسورة بعد كسر نحو (متَكِبِّين، الصَّابِئِين، الخاطِئِين) فقرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وقرأ الباقون بالهمز. ¹⁸
6. مفتوحة بعد فتح نحو (أَرَأَيْتُمْ، أَرَأَيْتُمْ أَرَأَيْتُمْ). فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمر

وابن عامر وحمة ذلك كله في القرآن بالهمز.

وقرأ نافع (أرأيتم وأرأيتكم، وأرأيت) بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة، وقرأ الكسائي (أرأيتم، وأرأيتكم، وأرأيت) بغير همز ولا ألف.¹⁹
ج- الهمزة المتحركة وقبلها ساكن:

- 1- متحرّكة وقبلها ألف نحو (إسرائيل) فقرأ أبو جعفر بتسهيلها وحققتها الباقون.²⁰
 - 2- متحرّكة وقبلها ياء نحو (هنيثا، مريثا، برئ) فقرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قبلها فيها وقرأ الباقون بالهمز.²¹
 - 3- متحرّكة وقبلها سكون نحو (سَطَّاه) فقرأها كلهم همزة مفتوحة.²²
 - 4- متحرّكة قبلها زاي ساكنة نحو (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً و) (جزءٌ مقسوم)²³ فقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وتشديد الزاي.²⁴
- و مما سبق ذكره نستشف ما يلي:

1- أن أبا جعفر وهو من قرّاء المدينة كان أكثر القرّاء ميلاً إلى تسهيل الهمزة أو حذفها، على خلاف نافع الذي يعدّ من قرّاء المدينة، الذي لم يرو عنه تسهيل الهمزة إلا في حروف قليلة.

2- أن ابن كثير قرأى المدينة لم يرو عنه شيء من التسهيل في هذه القراءات كلّها.

3- أن هذه القراءات تبين لنا أنّ تحقيق الهمزة كان أكثر انتشاراً من تسهيلها.

إنّه من الواجب علينا أن نشير إلى قراءات أخرى في الهمزة المفردة:

1- ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾²⁵ كان حمزة يسكت على الياء من (شيء قبل الهمزة سكتة خفيفة ثم يهمز، وكذلك يسكت على اللام من (الآخرة، الأرض، الأسماء) وما أشبه ذلك.²⁶

قال أبو علي بأن حمزة: "كان يقف هذه الوقيفة قبل الهمزة توصلها إلى تحقيقها لأن جعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلاّ التّحقيق لأنّ الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها، و المبتدأ بها لا يجوز تخفيفها"²⁷، وهذا يدل على أن حمزة حريص على تحقيق الهمزة.

2- اختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقَيْهَا﴾²⁸، فقرأ ابن كثير وحده بالهمز (سأقيها)²⁹.

3- قرأ ابن كثير وحده (ضئزئى)³⁰ بالهمز وقرأ الباقون بغير همز.³¹
 4- قرأ ابن كثير (ضئاء) بهزتين في كل القرآن، الهمزة الأولى من قبل الألف والثانية بعدها، وقرأ الباقون بهمزة واحدة بعد الألف في كل القرآن.³²
 5- ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾³³، قرأ عاصم ويعقوب بالهمز قبل ولا وجه له إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهزم العالم والخاتم.³⁴
 ومما سبق نستخلص: أن ابن كثير قارئ مكة، اعتمد الهمز كثيرا، وعليه فإنه من الصعب الاعتماد على بيئة القارئ في تحديد اللهجة.

2- قراءات شاذة:

أ- قراءات لا تحقق الهمزة:

1- قرأ الزهري و قتادة (بَيْنَ الْمَرْوِ وَرَوْجِهِ)³⁵ من غير همز وبالتشديد.³⁶
 2- قرأ الزهري (دِفٌّ)³⁷ بالتشديد.³⁸
 3- قرأ عيسى الثقفي (سَيْغاً لِلشَّارِبِينَ)³⁹ بتشديد الياء.
 4- قرأ الحسن و مجاهد (من سَوَّتها)⁴¹ بتشديد الواو.
 5- قرأ الأشهب و الحسن (إِلَى بَارِكُمْ)⁴³ بغير همز.⁴⁴
 6- قرأ الزهري (كَمَا بَدَأَكُمْ)⁴⁵ بغير همز.⁴⁶
 7- قرأ زيد بن علي (وَهُمْ بَدَوْكُمْ)⁴⁷ بسكون الواو بغير همز.⁴⁸
 والملاحظ على هذه القراءات أنها تخلصت من الهمز بإدغامها فيها قبلها أو تسهيلها أو بحذفها.

ب- قراءات تحقق الهمزة:

1- قرأ أيوب السخيتاني (وَلَا الضَّالِّينَ)⁴⁹ بالهمز.⁵⁰
 2- قرأ الحسن وعمرو بن عبيد (وَلَا جَانَ)⁵¹ بالهمز.⁵²
 3- قرأ علي و الحسن و ابن محيظ و أبو عمر و أم الدرداء و ابن أبي عبله (لِينْبَدَنَّ)⁵³ بالهمز

وتشديد النون المكسورة. 54

4- وروى قطرب عن بعض القراء (مُؤسى) و (أم مؤسى) 55. 56

5- قرأ طلحة بن مصرف (يونس) 57 و (يوسف) 58 بالهمز. 59

6- قرأ أبو عمرو والحسن وابن أبي إسحاق والأشهب (لترؤن) 60 بالهمز. 61

والملاحظ على هذه القراءات تحقيقها للهمز، وإبدال بعض الصوائت همزة.

(ب) الهمزتان المجتمعتان:

1- المجتمعتان في كلمة:

1. ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ 62 اختلفوا في تخفيف الثانية منها وتحقيقها وإدخال ألف بينهما، فسهلها

بين الهمزة والألف، ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر، وقرأ الكوفيون بتحقيقها، وفصل

بين الهمزتين بألف أبو عمرو وأبو جعفر. 63

2. ﴿الْهَيْتَا﴾ 64 اختلفوا في تحقيق الهمزة الثانية وفي تسهيلها بين من فحَقَّقَهَا الكوفيون

وسهلها الباقون ولم يدخل أحد بينهما ألفاً. 65

3. ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ 66 قرأ نافع وابن كثير وعاصم . في رواية . وأبو عمرو (أعجمي)

بتخفيف الثانية، وقرأ عاصم . في رواية . وهمزة والكسائي (أعجمي) بهمزتين. 67

4. ﴿أَتَيْنَكُمْ﴾ 68 و﴿أَيِّنَّا لَنَا لِأَجْرًا﴾ 69 و﴿أَلَيْهَ﴾ 70، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو

جعفر بتسهيل الثانية بين من فحَقَّقَهَا الكوفيون وابن عامر، وفصل بين الهمزتين في جميع

الباب أبو عمرو وأبو جعفر. 71

5. ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ 72 و﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ 73، قرأ نافع وابن كثير وأبو

جعفر بتسهيل الثانية، وحقَّقَهَا الباقون وفصل بينهما بألف أبو جعفر واختلف عن أبي

عمرو. 74

ومن الشواذ ما يلي:

1- قرأ ابن مسعود "بَلْ أَدْرَكَ" بهمزتين، وأصلها "أدارك" 75. 76

2- "أَيْلِيَّةٌ مَعَ اللَّهِ" 77 في بعض المصاحف كأنه قال أتدعوا إليها مع الله. 78

3- قرأ الأعمش "أَيْكُمْ" 79 بالمد. 80

4- قرأ عبد الله بن إسحاق الحضرمي " آنذرتهم " ⁸¹ بهمزين مخففتين بينهما ألف. ⁸²

5- قرأ الأعمش " إن ذكرتم " ⁸³ بمدة قبل الهمزة المفتوحة. ⁸⁴

نستخلص ما يلي:

1- وقع الاختلاف بين القراء حول الهمزة الثانية بين تحقيقها وتخفيفها وتسهيلها، وتحقيقها مع الفصل بينها وبين الأولى بألف، ومعنى ذلك أن تحقيق الهمزة الأولى متفق عليه، وأن هناك مع الاختلاف. من يقرأ بتحقيق الثانية أيضاً، والتحقيق إذن أغلب.

2- حقق الكوفيون الهمزتين معاً، وكذلك قرأ ابن مسعود.

3- لم تخفف الهمزتان إلا في قراءة واحدة شاذة.

2- المجتمعان في كلمتين:

همزتان متفتتان:

1- كسرا نحو: " من النساء إلا " ⁸⁵ و " من وراء إسحق " ⁸⁶.

2- فتحا نحو " السّفهَاءُ أمّواكُم " ⁸⁷ و " جاء أحدكم " ⁸⁸.

3- ضمّاً نحو " أولياء أولئك " ⁸⁹.

فقرأ أبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى منها في الأقسام الثلاثة. وقرأ أبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية في الأقسام الثلاثة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين جميعاً في الأقسام الثلاثة. ⁹⁰

همزتان مختلفتان:

1- مفتوحة ومضمومة نحو " جاء أمة رسولها " ⁹¹.

2- مفتوحة ومكسورة نحو " شهداء إذ " ⁹² و " جاء إخوة " ⁹³.

3- مضمومة ومفتوحة نحو " نشاء أصبناهم " ⁹⁴ و " ياساء أقلعي " ⁹⁵.

4- مكسورة ومفتوحة نحو " وهؤلاء أهدي " ⁹⁶ و " من وعاء أخيه " ⁹⁷.

5- مضمومة ومكسورة نحو " ولا ياب الشهداء إذا " ⁹⁸ و " يا أيها الملائي " ⁹⁹.

فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية فيها جميعاً، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين. ¹⁰⁰، وهذه

القراءات قد أثبتت أن تحقيق الهمزة أكثر انتشارا في اللغة العربية من تسهيلها.
4. نسبة القراءات للهجات:

وبعدما قمنا بعرض مذاهب القراء في تأدية الهمزة تحقيقا أو تسهيلا، سنحاول التعرف على لهجات القبائل في الهمز، قال سيبويه: "واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا وكانت كلّ واحدة منهما من كلمة، فإنّ أهل التحقيق يخفّفون إحداها ويستقلّون بتحقيقها لما ذكرت لك، كما استقلّ أهل الحجاز تحقيق الواحدة، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتُحقّقان، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو. ¹⁰¹" وقال: "وأما أهل الحجاز فيخفّفون الهمزتين، لأنّه لو لم تكن إلّا واحدة خفّفت. ¹⁰²"

ونحن نتمعن في كلام سيبويه نراه كلّ مرة يدرج أمثلة تؤكّد تخفيف الحجازيين للهمزة، "وأما أهل الحجاز فمنهم من يقول: آ إئتكَ و آ أنت، وهي التي يختار أبو عمرو، وذلك لأنّهم يخفّفون الهمزة كما يخفّف بنو تميم في اجتماع الهمزتين... ¹⁰³".

وتكاد تجمع كتب التراث العربي على أنّ تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبنو أسد، ومن جاورها، أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وأنّ تسهيلها لهجة أهل الحجاز ¹⁰⁴، وقال الدكتور إبراهيم أنيس: "وتكاد تجمع الروايات على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أنّ القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مدّ. ¹⁰⁵"

ولكن علينا أن نشير إلى أنّ القبائل المحققة للهمزة ليست على حدّ سواء، فمنهم من يذهب في تحقيقها مذهبا بعيدا فيبدل الألف والواو والياء همزة وهم بنو أسد، إذ يذكر القراء أنّ همز يأجوج ومأجوج لغة بني أسد "ولا وجه له إلّا اللّغة العربيّة المحكية عن العجاج أنّه كان يهزم العالم والحأتم ¹⁰⁶".

فالقبائل التي كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش في البادية، أما القبائل المتحضرة التي كانت في الحجاز، وخاصة قريش، والأوس والخزرج في المدينة قبائل تميل إلى تسهيل الهمز، وتمثلها قراءة أبي جعفر وبعض قراءات نافع قارئ المدينة أصدق تمثيل، أمّا قراءة ابن كثير قارئ مكة فإنّها تخالف بيته كل المخالفة. وهذا لا يعني أنّ قبائل الحجاز كلّها

تخلّصت من الهمزة، ولكنها تميّزت بتسهيلها على خلاف البدو، قال في هذا الصدد سيبويه: "وتقول: أقرى بك السّلام بلغة أهل الحجاز؛ لأنهم يخفّفونّاها. فإنّا قلت أقرى ثم جئت بالأب فحذفت الهمزة وألقيت الحركة على الياء"¹⁰⁷.

فأكّد سيبويه أنّ لغة أهل الحجاز التّحقيق، وما خالفها قليل: "وقد بلغنا أنّ قوما من أهل الحجاز من أهل التّحقيق يحقّقون نبيّ وبريئة، وذلك قول رديء."¹⁰⁸

وقد قال إبراهيم أنيس: "الحق أنّ التّخلص من الهمزة لم يكن شائعاً في كل القبائل الحجازية، بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها. ويدل على هذا قراءة "ابن كثير" الذي التزم تحقيق الهمزة. هذا إلى أنّ للهمزة حكماً خاصاً يخالف جميع الأصوات الأخرى. لأنّها صوت ليس بالمجهور ولا المهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعمليّة النطق بها وهي محقّقة من أشقّ العمليّات الصوتية، لأنّ مخرجها فتحة المزمار التي تنطق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة، فنسمع ذلك الصّوت الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحقّقة."¹⁰⁹

والقول عندنا أنّ القوانين التي تخضع لها اللّهجات ليست قوانين طبيعية ثابتة، باعتبار أنّ اللّغة كائن حيّ ينمو ويتغذّى من مختلف العوامل المحيطة به، والأرجح أنّ تحقيق الهمزة يناسب البيئة البدوية، لصعوبة النطق بها وهي تلائم البدوي الذي اعتاد على خشونة وصعوبة الحياة البدوية، على خلاف البيئة الحضرية حيث تعود القرشي على ليونة الحياة وعذوبتها، قال ابن يعيش: "الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به، إذ كان إخراجها كالتهوع لذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتّحقيق لغة تميم وقيس..."¹¹⁰

فالهمزة صوت حنجري شديد يناسب البيئة البدوية وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهي أساساً من لهجات تميم وقيس وبنو أسد ومن جاورهم، والتّسهيل في أصله لهجة البيئة المتحضّرة وهم أصل الحجاز وبخاصة قريش في مكة والأوس والخزرج في المدينة.

ولم يكن الحجازيون جميعاً بعيدين عن تحقيق الهمز إلى تسهيله بل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سبّاهم سيبويه أهل التّحقيق، فكانوا ينطقون بالهمز كإخوانهم من القبائل

المخففة له، " ومن قبائل الحجاز (ككل) التي هي من طابخة، وطابخة من خندف التي سكنت الحجاز ونسب إليها ابن جني (ترقوة) فقال إنها لغة لبعض عكل. "111

ومما يدل على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جني قال: " إن بعض من تقوى لغته ويتعلل تمكينه وجهارته دون أن يظفي به طبعه ويتخلى به اعتياده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفا بها ومصانعا بطول المدة عنها فيقول شأبة ودأبة"112 وسمعها بعضهم من بني كلاب.113

وقد حاول ابن جني تفسيرها بأنه كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقائها فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة¹¹⁴، وهو صورة من صور التوتّر النَّبْرِي على لسان بعض البدو¹¹⁵، وقد قال عيسى ابن عمر: ما أخذ من قول تميم إلا بالنَّبْر وهم أصحاب النَّبْر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا. "116

والمراد بالنَّبْر الهمز؛ وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض في الهمز والتسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهلت فيها الهمزة في بيئة نجد والعكس في بيئة الحجاز، فقد قرأ أهل الكوفة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.117 بالياء والتخفيف¹¹⁸ (ومن يُوت)، وكذلك قرئت هذه الآيات: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾¹¹⁹ أنبيهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ مستهزون بغير همزة.120

وتخفف بنو أسد لرؤوف وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبريء ونبيء؛ وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببعض في الهمز والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد اللغوي.

الخاتمة:

إنّ القراءات القرآنية مصدر أساسي لدراسة مختلف الظواهر اللغوية ومنها الصوتية، حيث استتجنا أنّ النطق بالهمزة بين التخفيف والتحقيق في لهجاتنا العربية القديمة قد جسّدته لنا قراءاتنا القرآنية، حيث تبين لنا:

- الهمزة صوت حنجريّ شديد بناسب البيئة البدوية وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقها، فهي أساسا تكمن في لهجات تميم وقيس وبنو أسد ومن جاورهم، والتسهيل في أصله لهجة البيئة المتحضرة، ويتمثلون في بيئة الحجاز وخاصة قريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة.

- لا يعدّ هذا قانونا ثابتا، فقد يحدث أن يحقق الحضري الهمز، ويخفّفه البدوي، ولكن الأغلب أنّ قبائل البادية تهمز، والقبائل المتحضّرة تخفّف، وتمثل ذلك في قرائنا حيث حقّق الكوفيون الهمزة وكذلك قرأ بن مسعود، وما خالف القاعدة عدّد من القراءات الشاذّة.

- الهوامش:

- 1 - سيويه عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط 3. 1403هـ-1983م، ج4. ص 434.
- 2 - المرجع السابق. ج4. ص 434.
- 3 - المبرد. المقتضب. تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة. طبعة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1388 هـ (1968-1963م). ج1. ص 52.
- 4 - ابن يعيش. شرح المفصل. المنيرية، دت، ج9، ص 107.
- 5 - إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. القاهرة. 1950م. ص 82.
- 6 - ابن الجزري محمد. النشر في القراءات العشر، تصحيح وإشراف الأستاذ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1. ص 390.
- 7 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 362.
- 8 - المرجع السابق. ج1. ص 632.
- 9 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 390.
- 10 - الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع. مخطوط بمكتبة لديه الإسكندرية برقم 3570 ج، ج2، ص 20.
- 11 - سيويه. الكتاب. ج3 ص 541.
- 12 - سيويه. الكتاب. ج3. ص 543-544.
- 13 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 395.
- 14 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 396.
- 15 - أبو علي الفارسي. الحجة. ج2. ص 264.
- 16 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 397.

- 17 - ابن الجزري. المصدر السابق، ج1، ص 397.
- 18 - ابن الجزري. المصدر السابق، ج1، ص 397.
- 19 - الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع، ج4، ص 10.
- 20 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1 ص 400.
- 21 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 405.
- 22 - الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع، ج5. ص 176.
- 23 - سورة البقرة. الآية 260.
- 24 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 406.
- 25 - سورة الفتح. الآية 21، سورة الأحزاب. الآية 27.
- 26 - الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع، ج1. ص 365.
- 27 - الفارسي أبو علي. المرجع السابق، ج1، ص 365.
- 28 - سورة النمل. الآية 44.
- 29 - الفارسي أبو علي. المرجع السابق، ج6، ص 67.
- 30 - سورة النجم. الآية 22.
- 31 - المرجع نفسه. ج7. ص 202.
- 32 - المرجع السابق ج5 ص 364.
- 33 - سورة الكهف. الآية 94.
- 34 - أبو حيان. البحر المحيط، طبعة السعادة، 1328هـ. ج6. ص 163.
- 35 - سورة البقرة. الآية 102.
- 36 - ابن جنى. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية رقم 444 م عن مخطوطة دار الكتب 78 قراءات، ص 21.
- 37 - سورة النحل. الآية 5.
- 38 - الكرمانى. شواذ القراءة و اختلاف المصاحف. مخطوطة بمكتبة الأزهر برقم 244 قراءات، ص 130.
- 39 - سورة النحل. الآية 66.
- 40 - أبو حيان، البحر المحيط. ج4، ص 279.
- 41 - سورة الأعراف، الآية 20.
- 42 - أبو حيان. البحر المحيط، ج4، ص 279.
- 43 - سورة البقرة، الآية 54.
- 44 - الكرمانى. شواذ القراءة و اختلاف المصاحف، ص 25.

- 45 - سورة الأعراف، الآية 29.
- 46 - الكرمانى. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 187، وأبو حيان. البحر المحيط، ج 7، ص 146.
- 47 - سورة التوبة، الآية 13.
- 48 - الكرمانى. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 98، وأبو حيان. البحر المحيط، ج 5، ص 16.
- 49 - سورة الفاتحة، الآية 7.
- 50 - ابن جنى. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ص 10.
- 51 - سورة الرحمن. الآية 39.
- 52 - ابن جنى. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وأبو حيان. البحر المحيط، ج 8، ص 196.
- 53 - سورة الهمزة، الآية 4.
- 54 - الكرمانى. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 210، وأبو حيان. البحر المحيط، ج 8، ص 510.
- 55 - سورة القصص، الآيتان 7 و 10.
- 56 - الكرمانى شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 25، وابن جنى. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ص 122.
- 57 - سورة النساء 163، الأنعام 86، يونس 98، الصافات 139.
- 58 - سورة يوسف 21، 29 وغيرها.
- 59 - ابن خلوويه. الحجة في قراءات الأئمة السبعة، ص 30.
- 60 - سورة التكاثر، الآية 6.
- 61 - ابن خلوويه. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ص 169.
- 62 - سورة البقرة، الآية 6.
- 63 - الفارسي. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، ج 1، ص 227، وأبو حيان. البحر المحيط، ج 1، ص 47، وابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 363.
- 64 - سورة الزخرف، الآية 58.
- 65 - ابن الجزري. النشر، ج 1، ص 365.
- 66 - سورة فصلت، الآية 44.
- 67 - الفارسي. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، ج 7، ص 87.
- 68 - سورة الأنعام، الآية 19.
- 69 - سورة الشعراء، الآية 41.
- 70 - سورة النمل 60، 61، 62، 63، 64، 26.
- 71 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 369.

- 72 - سورة آل عمران، الآية 15.
- 73 - سورة الحجر، الآية 9.
- 74 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 374.
- 75 - سورة النمل 66.
- 76 - ابن خلوويه. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، 1971م، ص 110.
- 77 - سورة النمل 60، 61، 62، 63، 64.
- 78 - ابن خلوويه، المرجع السابق، ص 110.
- 79 - سورة التوبة 124، هود 7، النمل 38، الملك 2.
- 80 - الكرمانى. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 88.
- 81 - سورة البقرة، الآية 6.
- 82 - الكرمانى، المرجع السابق، ص 88.
- 83 - سورة يس. الآية 19.
- 84 - ابن خلوويه. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، ص 125.
- 85 - سورة النساء، الآية 22.
- 86 - سورة هود، الآية 71.
- 87 - سورة النساء، الآية 5.
- 88 - سورة الأنعام، الآية 61.
- 89 - سورة الأحقاف، الآية 32.
- 90 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 382.
- 91 - سورة المؤمنون. الآية 44.
- 92 - سورة البقرة. الآية 133.
- 93 - سورة يوسف. الآية 58.
- 94 - سورة الأعراف. الآية 100.
- 95 - سورة هود. الآية 44.
- 96 - سورة النساء. الآية 51.
- 97 - سورة يوسف. الآية 76.
- 98 - سورة البقرة. الآية 282.
- 99 - سورة النمل. الآية 29.
- 100 - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 386.

- 101 - سيويه. الكتاب، ج3، ص 549.
- 102 - سيويه. الكتاب، ج3، ص 550.
- 103 - المرجع نفسه، ج3، ص 551.
- 104 السيرافي. شرح كتاب سيويه، مخطوطة بدار الكتب، رقم 136، ص 13.
- 105 - إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1966م، ص 77.
- 106 - أبو حيان. البحر المحيط، ج6، ص 163.
- 107 - سيويه. الكتاب. ج3. ص 550.
- 108 - سيويه. الكتاب. ج3. ص 555.
- 109 - إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية. ص 77.
- 110 - ابن يعيش. شرح المفصل. ج9، ص 107.
- 111 - ابن جنّي. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، 1371هـ-1952م، ج1. ص 17.
- 112 - المصدر السابق. ج3. ص 126.
- 113 - ابن منظور. لسان العرب. ط بولاق 1300هـ-1307هـ. ط بيروت 1375هـ-1956م. ج1 ص 14.
- 114 - ابن جنّي. سر صناعة الإعراب، طبعة 1374هـ-1954م و مخطوط مكتبة الأزهر (116 لغة) ودار الكتب المصرية 5816 هـ. ج1 ص 82.
- 115 - شاهين عبد الصبور. القراءات القرآنية في ضوء علم الحديث. دار القلم. 1966م. ص 198.
- 116 - ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 2004، ج1، ص 22.
- 117 - سورة البقرة. الآية 269.
- 118 - ابن خلوويه. مختصر شواذ القرآن. نشره المستشرق برجستراسر. ط. القاهرة 1934م. ص 17.
- 119 - سورة البقرة، الآية 33.
- 120 - ابن خلوويه. مختصر شواذ القرآن. ص2.